العددِ1 21A حزيران 2026
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
NO.21A1 Jun2026 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

القيم الإنسانية في شعر أحمـــد الوائلي

م. د. عباس أنيس جحيل
مديرية تربية الرصافة الثانية
abbasanes739@gmail.com

المُلخص:
الشعر ظاهرة إنسانية خالصة وهي وإن كانت ظاهرة فردية، إلَّا أنها تتسع وتنمو كلَّما اتسعت تجربة الشاعر بحيث يشعر المتلقي إنَّ هذه القصيدة أو تلك تحاكي همومه ومعاناته، وتداعب أحاسيسه ومشاعره؛ فتجارب البشر تتشابه بطبيعة الحال وهي تحتاج إلى وعاء إبداعي يصوغها أدباً؛ تستريح له النفس وتنبو الآذان لإيقاعه فتطرب، وهذا هو حال الأمم منذ القدم، من هنا سعت هذه الدراسة المختصرة إلى إبراز القيمة الإنسانية والفنية في شعر الدكتور أحمد الوائلي الشاعر والخطيب المتضامن على نحوٍ مستمر مع محيطه الديني والاجتماعي والسياسي فهو أنموذج صادق للشاعر المُعبِّر عن واقع مجتمعه.

الكلمات المفتاحية: الوائلي، القيم، الإنسانية، شعر، أحمد.

Human values in the poetry of Ahmed Al-Waeli

Inst. Lect.: Abbas Anes Jaheel
Ministry of Education - Rusafa Second Education Directorate

key words: Al-Waeli, Human, values, poetry, Ahmed

Abstract:
Poetry is a purely human phenomenon, and although it is an individual phenomenon, it expands and grows as the poet's experience expands, so that the recipient feels that this or that poem mimics his concerns and suffering, and caress his feelings and feelings; Of course, human experiences are similar, and they need a creative container to be fashioned by literature; The soul rests for him and the ears listen to his rhythm, and this is the case of nations since ancient times, hence this brief study sought to highlight the human and artistic value in The poetry of Dr. Ahmed Al-Waeli, the poet and orator who is constantly in solidarity with his religious, social and political surroundings, is a true model for the poet expressing the reality of his societ.

المقدمة

انفرد الشيخ الدكتور أحمد الوائلي عن معاصريه من الشعراء العرب بعامة، والعراقيين بخاصة بكونه شاعراً، وخطيباً عُرِفَ باتجاهه الديني على نحوٍ واضح وبارز، وباتجاهه السياسي على نحوٍ مُتوارٍ قد لا يلتفت إليه غير الباحث في شعره الذي يُفصح عن تجربة شعرية فريدة ذات طابع تمتزج فيه الأصالة بالحداثة وتحاكي فيه الروح الرومانسية المنضوية في روح النص الروحَ الكلاسيكية الظاهرة في شكله، ولعلَّ ممّا لم يلتفت إليه الباحثون الذين انبروا لدراسة شعره القيم الإنسانية التي بدت لكاتب سطور هذا البحث سمةً ظاهرة استحقت الوقوف عند أبرزها وهي (التضامن) القيمة الإنسانية التي تجلَّت في مواقفه الاجتماعية، والدينية، والسياسية، و(الحب) الذي تجلَّى في عشقه للخالق، وللرسول محمد (ﷺ) وآل بيته الكرام، و(الجمال) القيمة الإنسانية الفنية التي كانت الوعاء الحامل لتجاربه، ومواقفه من الحياة التي كان متفاعلاً مع قضاياها، غيرَ مُنزوٍ عنها، والوائلي على الرغم من شخصيته الوقورة المحكومة بضغط الأعراف والتقاليد تتحول شخصيته شأنه شأن أي شاعر إلى ما يُعرف بالذات الشاعرة الخالقة للنص الشعري لتسكن فيه، فالباحث في قصائده يجده يغوص بعيداً عن العالم المحسوس وتلك هي طبيعة الشعر والشعراء منذ القدم، فهذا البحث يندرج تحت إطار الدراسات الموضوعية الفنية التي باتت تُعاني الهجران من قبل الباحثين في العقدين الأخيرين؛ بسبب شيوع المدارس الحداثية ذات الطابع الشكلي الذي يتجه نحو النص بالدرجة الأولى، والمتلقي بدرجة أقل، أما المبدع فيبدو أنَّ اكثر الباحثين باتوا مقتنعين بمقولة رولان بارت التي تقضي بموته، وانقطاعه عن النص، وهو ما لم يكن من قناعة كاتب سطور هذا البحث.

القيم الإنسانية

يشير الجذر اللغوي للقيمة إلى أنَّها تعني قدر الشيء وسعره، وهي "مِنْ قِيمَةِ الشَّيْءِ، أَيْ حَدَّدْت لَنَا قِيمَتَهَا" (ابن منظور، 1992م، ص: 12 /500) وهذا مفهوم مادّي متصل بالأشياء المحسوسة؛ وهو ليس موضع اهتمام هذا البحث الذي يبحث في المعنى الاصطلاحي للقيم الإنسانية المُطلقة ممَّا استحقَّ التقدير بذاته كالخير، والحب، والحق، والجمال، وليس ما كانت قيمته إضافية مما استحق التقدير لأجل غرضٍ ليس في ذاته كالوثائق التاريخية أو الوسائل التعليمية أو غيرها، (ينظر: صليبا، ، 1982م، ص 2/ 213) وشعر الشيخ الدكتور احمد الوائلي، الشاعر العراقي المولود في مدينة (النجف الأشرف) في العام (1928م) والمتوفَّى سنة (2003م) في مدينة الكاظمية ببغداد يضم في طيّاته مؤونة وفيرة للباحث في هذا المجال، فلطالما اتسمت خطبه وأشعاره بالدعوة إلى ترسيخ القيم الإنسانية؛ بحكم طبيعة شخصيته الدينية المتفاعلة مع المحيط الاجتماعي والقريبة منه بهدف توعيته وإصلاحه انطلاقاً من إحساسه الدائم بالمسؤولية الأخلاقية والشرعية التي تفرضها عليه شخصيته الدينية، فكان من أبرز القيم الإنسانية التي حوتها أشعاره قيمٌ ثلاث هي (التضامن، والحب، والجمال) سيسعى الباحث إلى الوقوف عندها وإبرازها على نحو مختصر ومتسلسل.

المبحث الأول: التضامن

التضامن في اللغة "الْتِزَام الْقوي أَو الْغَنِيّ معاونة الضَّعِيف أَو الْفَقِير" ، (الزيات وحامد والنجار، د.ت، ص 544) وهو مفهوم فلسفي وسمة إنسانية خالصة، لا يمكن لمتصفح ديوان الوائلي سوى أن يلحظ شيوعه في شعره المتفاعل مع هموم المجتمع وقضايا الأمة، وقد كان لتضامن شعر الجواهري مع هموم الشعب من قبل أثره الواضح في شيوع شعره، وتأثيره في المحيط العراقي والعربي على حدٍّ سواء (العطية، 1998م، ص 94) فالشاعر العربي المعاصر بات اللسان المعبِّر عن هموم وطنه والمدافع عنها، وهو ما يستدعي الوقوف عند نصوصه الشعرية والكشف عن أسرارها، وعلى الرغم من دعوات عددٍ من المدارس الحديثة إلى دراسة النص بمعزلٍ عن ذات المبدع، ومنها المدرسة الشكلانية التي رفع أحد أعلامها (رولان بارت) شعار (موت المؤلف) ، و(الكتابة من درجة الصفر) ، و(لذَّة النص) داعياً إلى دراسة النص الإبداعي دراسة بنيوية خالصة (التميمي، 2018م ، ص22 – 25)، إلَّا أنَّ هذه الدعوات تبدو غريبة بالنسبة إلى وظيفة الشعر على مرّ العصور؛ فالشعر لا بدَّ له من وظيفة اجتماعية؛ لأنَّه ناتج عن تجارب إنسانية لا يمكن لها أن تكون بمعزلٍ عن المحيط الذي وُلدَت فيه، والشاعر بطبيعة الحال يريد لشعره أن يكون ذا فكرة تؤثر في المتلقي، وما قيمة الفن إن لم تكن له رسالة ذات تأثير إنساني كتلك التي نجدها في شعر الوائلي وهو يتضامن مع طبقة الفقراء حين يصف العيدَ وأجواءَه: (الوائلي ،2016 ، ص 250)

قد تعددت في معانيك يا عيـ ... د ففي كل جانح لكَ أفقُ

فبأحلام طفلتي أنت أثوابٌ ... حسان الألوان حمرٌ وزرقُ

وأراجيح في الهوى ومواصيـ ... ـل على نطّة الصغار تنقُّ

وشفاه تثرثر الكلم السا ... ذج من ناعم النسيم أرقُّ

وبأحلام جدتي أنت كعكُ الـ ... عيد يدحى بكفها ويرقُّ

النص في مجمله إعلان عن ترابطٍ إنساني حميم، ووصالٍ أسري يلقى صداه في الذاكرة الأسرية التي تتعدد صورة العيد عند أفرادها بحسب الطبيعة السايكلوجية التي تجعل العيد في نظر الأطفال ثوباً حسناً أحمر، أو أزرق، أو أراجيح، أو ثرثرة لسان، فهو ليس كعيد الأمهات والجدات اللواتي يرقُّ بأكفهن كعك العيد ويطيب، ومن المفيد هنا الإشارة إلى ما ذكره الدكتور إحسان عبَّاس في هذا المجال في سياق حديثه عن الموروث الشعبي الذي ذكر أنه "يصبغُ الشِّعر بلونٍ محلِّي إقليمي خاص، يصعب أن يتخطَّى حدود الإقليم الواحد... وهذا مدخل ضروري لربط حبل التواصل والتفاهم بين ألوان التراث الشعبي في الأقطار العربية، في الوقت الذي يعبر فيه هذا التراث عن المعالم التي تميَّز شخصية كل قطر على حدة" **(عباس، 1978، ص 152)** ، فضلاً عمَّا تمثله صورة العيد في هذا النص من تاريخ ممتد لأجيال سابقة، وأخرى لاحقة.

والوائلي يعلن عن تضامنه الإنساني الخالص مع الفقراء البائسين حين يوازن ما بين عيدهم وعيد الأغنياء المرفهين الذين يرى أنَّ: (الوائلي، 2016 ، ص 251)

كل أيامهم نعيم وأعيا د فمـــا جـــدَّ فـــي صـــباحكَ فـــرقُ

...

ولـــــدى البائســـين أنـــت ســـويعا ت بهـــا قســـوة الحيـــاة تـــرقُّ

بـــــين ثـــــــــــوبٍ وإن تواضـــــــــــع إلا أنـــه لـــيس فيـــه رتـــقٌ وفتـــقُ

ورغيـــفٍ يلـــين بالمضـــغِ لـــم يتـــ عـــب كبـــاقي أيامـــه منـــهُ شـــدقُ

ووعـــــودٌ لزوجـــــةٍ وصـــــغارٍ أنـــهُ ســـوف يـــنعش الحقـــلَ ودقُ

إنها مقابلة شعرية تنم عن طابع إنساني يدعو إلى الحزن على حال الفقراء الذين يختلف عيدهم تماماً عن عيد الأغنياء الذين تتساوى عندهم الأيام؛ لأنهم في نعيمٍ دائم، أما الفقراء فيمر عيدهم سويعاتٍ معدودة ترقق ما ترقق من قسوة الحياة، ثم يمضي العيد مُسرعًا من دون أن تُوفَّى الوعود التي تُقطع كل عام عند حلوله.

والوائلي متضامن على نحوٍ كبير مع القضايا الكبرى التي تلم بالشعوب العربية وهو ما يبدو واضحاً وفي قصيدة له دعا فيها شعب لبنان إلى تغليب صوت الحكمة والعقل حين ألمّت به الحرب الأهلية وحصدت من الأرواح ما حصدت: (الوائلي، 2016 ، ص 252)

قيـــل: حـــربُ الأديـــان تحـــرقُ لبنـــا ن ومـــا بينهـــا صـــراعٌ مريـــرُ

قلـــت: عيســـى وأحمـــد أنبيـــاء الله والله واحـــــدٌ والمصـــــيرُ

ومـــــن الجـــــــــهلِ أن يعالـــــــــجَ بالبا رودِ مـــا قـــد يحلـــه التفكيـــرُ

الدعوة إلى الوحدة ونبذ الخلاف ودرء الفتنة تأتي بوساطة التذكير بوحدة الوجود، ووحدة الأهداف التي جاء بها الرسل (محمد ﷺ) وعيسى المسيح (عليه السلام) من قبله، وهي دعوة تحاكي العقل والمنطق بالعودة إلى التفكير والمنطق وهجر أصوات البارود التي أحرقت لبنان ولكن بأيادي بنيها هذه المرة! ليتساءل الشاعر عن حال لبنان اليوم بين اليوم والأمس: (الوائلي، 2016 ، ص 156)

أيـــن لبنـــان اليـــوم ممّـــا أراهُ أكـــذا الـــدائراتُ حـــين تـــدورُ؟!

الريـــــاض المؤنقـــــات جحـــــيمٌ والقصـــــور المجنحـــــات قبـــــورُ

لـــيس مـــن طبعـــهِ المـــدافعُ مَـــن مِـــن طبعـــــهِ أن يُغـــــرِّدَ الشـــــحرورُ

ومـــروجٌ خضـــــــــرُ بهـــا ألـــف جـــــــــوقِ تســـتعيدُ الأنغـــامَ فيـــه الطيـــورُ

عابثـــاتٌ بهـــا المـــدافعُ فالقصـــــ ـــــدُ عـــديمٌ والـــواترُ الموتـــورُ

ومـــن الخـــبط بالمقـــاييس أضـــحت تتســـاوى آحادهـــا والكســـورُ

إنّ رفض الوائلي الصراعَ الطائفي وفضح الجهات التي تذكي نيرانه أمر ليس بالجديد في شعره فأبياته هذه تذكرنا بقصيدته الخالدة في مهرجان الأدباء العرب ببغداد سنة ١٩٦٥ التي ختمها بخطابٍ وحدوي ينم عن وعي كبير بالمكائد والخبائث التي تحاك فتهلك الشعوب والأوطان: (الوائلي ،2016 ، ص 367)

ومشـــت تفرّقنـــا يـــدٌ مســـمومة مُتســـــنّنٌ هـــــذا وذا مُتشـــــيّعُ

يـــا قاصـــدي قتـــلَ الأخـــوةِ غيلـــةً لمّـــوا الشـــباكَ فطيرنـــا لا يُخـــدَعُ

غـــــــرسَ الإخـــــــــــــاءُ فامتـــــدَّ واشـــتبكت عليـــه الأذرعُ
كتابـــــــــــنا ونبيُّنا

وهذه النزعة الإنسانية الشاملة تقودنا إلى الوقوف على تضامن الشاعر مع القضية الفلسطينية سنة (1967) م ومنها قوله: (الوائلي ،2016 ، ص 374- 375)

فلســـطينُ والفجـــر دامـــي الشـــروق وأبعـــاد ســـينا لظـــىً يحـــرقُ

...

فقـــــرّي وإن أثخنتـــــكِ الجـــــراح فإنّـــــا إليـــــكِ هـــــوىً شـــــيّقُ

سنمشـــي يجـــرُّ الخمـــيسَ الخمـــيسُ ويـــدفعُ فـــي فيلـــقٍ فيلـــقُ

ســـنعطيكِ حتـــى يقـــول العطـــاء كفـــى أيهـــا الـــدمُ مـــا تهـــرقُ

سنرضـــيكِ حتـــى يقـــول الوفـــاء صـــدقتم وكُـــذِبَ مـــا لفّقـــوا

سنســـتافُ تربـــكِ حيـــث الـــدماء عبيـــرٌ بأفنائـــه يعبـــقُ

فمـــــا مســـــحَ الـــــذلَّ إلا دمٌ فـــذلك يـــوم اللقـــا أصـــدقُ

الشاعر في هذه القصيدة يرتدي ثياب الحرب ويستدعي تاريخ الجهاد سعياً لنصرة فلسطين التي أسبغت على الشعراء في العصر الحديث طابعاً ثورياً يذكر بتاريخٍ من الدم والجهاد، والوائلي في هذه الأبيات يُجاور ألفاظ الحرب بعضها من بعض (يجرُّ الخميسَ الخميس) و (يدفعُ في فيلقٍ فيلقُ) فيمنح بذلك الأبيات نبرةً صوتية تستثيرُ المتلقي وتزيد الخطاب الشعري قوةً وتفخيماً، وهي سمة طاغية على شعر الحماسة منذ القدم.

المبحث الثاني: الحُب

الحب قيمة إنسانية خالصة، يرى ابن حزم الأندلسي (ت456هـ) أنَّ له علامات لا يقفوها إلَّا الفطن، ولا يهتدي إليها سوى الذكي (الأندلسي، 1987م، ص 103) ولعلنا لا نجافي الصواب إذا ما ذهبنا إلى القول: إنَّ النسبة الأكبر من شعر الحب الوائلي كانت من نصيب الآخر المقدَّس؛ فما بين الذات المقدسة التي كانت حاضرةً في شعره ظاهراً، وضمناً، نلمحُ ذكراً لا يكاد ينقطع للرسول الأعظم محمد (ﷺ) ، وكذلك الأنبياء، والرسل، والأئمة المعصومين، ففي قصيدته (إلى الكعبة الغراء) نلحظ تكراراً مستمراً لعبارة: (يا ربِّ...) وهو نداء يفصح على نحوٍ لافت عن الإيمان العميق للشاعر بعظمة الخالق: (الوائلي ،2016 ، ص 49)

ولـــو كـــان قلبـــي يعـــدلُ الهـــدي ســـقتهُ إلـــى الله هـــدياً دون كـــل فـــداء

فيـــا ربِّ ضـــيفٌ فـــي فنـــاك حـــوائجي بمأدبـــةٍ مـــلأى بكـــل غـــذاءِ

تضـــــلّع منهـــــا كـــــلُّ بَـــــرٍّ وضـــفت علـــى الجهَّـــال والفضـــلاء

وفاجـــــــــــــــــرٍ
ومـــا حرمـــت حتـــى الكفـــور بربـــه وتلـــك ســـجايا الســـادة الكرمـــاءِ

ويـــا ربِّ نقصـــي عـــن كمالـــك عـــاجزٌ ثنـــاه وان يُســـمى مـــن الفصـــحاءِ

يبدو الوائلي في هذه الأبيات هائماً في عشق الذات الإلهية، يسير على خطى أسلافه من شعراء الزهد والتصوف أمثال الشريف الرضي وابن الفارض، فهو يتمنى لو كان قلبه يصلح أن يكون هدياً كي يسوقه إلى الخالق، لكنَّه ما يبرح أن يطمع بعطاء ربه الذي لم يبخل به حتى على الكفور، فالكلم وإن كان فصيحاً يعجز عن وصف كرم الخالق وسجاياه التي لا يمكن لها أن تعد.

أمَّا الرسول محمد (ﷺ) فقد خصه الوائلي بقصيدتين هما (دعاءٌ عند الرسول الكريم) و (في رحاب الرسول) فمن الأولى قوله: (الوائلي ،2016 ، ص 53)

يـــا رمـــال البيـــداء هـــل نُســـي الرمـــ ـــلُ أم اســـتذكرت رمـــال البيـــدِ

يـــوم يمشـــي محمـــدٌ فيتيـــه الرمـــلُ مـــن خطـــوه الوقـــور الوئيـــدِ

والصـــحارى روحٌ ألـــحَّ عليـــه الـــ ـــجدبُ فاشـــتاق للغـــدِ الموعـــودِ

للخضـــيل الســـخي يغـــدق بالخصـــ ـــب علـــى قاحـــل الربـــى والنجـــودِ

للكمـــالات للشـــهامة للحريـــة للحـــق للطريـــق المســـدودِ

فانتخـــت عنـــد يثـــرب وثبـــاتٌ تعـــدُ الـــدهرَ بالغـــد المنشـــودِ

وعدته أن ينثني مطمئناً بكـــريمٍ وصـــادقٍ مـــن وعـــودِ

ومن القصيدة الثانية: (الوائلي ،2016 ، ص 58)

أتيتُـــكَ بالأشـــواق أطفـــو وأرســـبُ وكلّـــي آمـــالٌ وكلّـــك مطلـــبُ

ملكـــتَ علـــى بعـــد الـــديار مشـــاعري فأنـــت إلـــى ذهنـــي مـــن الفكـــرِ أقـــربُ

إلـــى ان دنـــت منـــي الـــديار وأصـــبحت قبابُـــكَ فـــي عينـــي تهـــلُّ وتغـــربُ

تلاشـــت حـــدودي فـــي حـــدودك والهـــوى تُوحَّـــدُ أشـــتاتٌ بـــهِ وتُـــذوَّبُ

فعدتُ وما إلّاك عند مشاعري فأنـــت بهـــا فكـــرٌ وديـــنٌ ومـــذهبُ

وهو في هذه الأبيات يسير على خطى الأقدمين حين يصف متاعب الرحلة إلى الممدوح طالباً مناه، وقد جعل كل نفسه آمالاً، وكلَّ الممدوح مطلباً، إنَّ حدود الشاعر تذوب وتتوحد في حب الرسول الأكرم، ثم تعود ليست تحمل مشاعراً سوى حبه والتعلق به.

ولفاطمة الزهراء (عليها السلام) نصيبٌ من الحُب عنده: (الوائلي ،2016 ، ص 55)

يـــا كســـاء بيـــت ببيـــت فـــاطمَ ضـــمَّ الـــ ـــآلَ فـــي يـــوم موقـــف معـــدودِ

و(البتـــول الزهـــراء) تُعـــدَّ لطفليـــ ـــها سخـــاباً في خيطه

المشـــــــــــــدودِ

وبقايـــا النعـــــاس فـــي أعـــين الاطـــ ـــفال نـــاموا علـــى ســـرير الجريـــدِ

ويـــــدا فضَّـــــةٍ تلمـــــلمُ فـــــي جنـــــ ـــــب الرحـــى حفنـــة الـــدقيق البديـــدِ

وعلـــــيٌ ســـــقى بُعَيـــــلات نخـــــلٍ وأتـــــى أهلـــــهِ بأجـــــرٍ زهيـــــدِ

بيـــــدٍ ممســـــك ببضـــــع تُمَيـــــرا ت وأخـــــرى بحزمـــــةٍ للوقـــــودِ

وتعـــدَّ (الزهـــــراءُ) مـــــن أدُم (الطـــــا ئـــفِ) فرشـــاً وخيـــشة للقعـــودِ

وتعـــدَّ الطعـــامَ فـــي طبـــق الخـــو ص رغيـــفاً وبُرمـــةً مـــن عصـــيدِ

على إنَّ ما يثير الاستغراب لدى المتتبع لشعر الشعراء الشيعة على نحوٍ خاص هو ندرة القصائد المكتوبة في الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فالجواهري على كثرة ما كتب لا يجد له الباحث أية قصيدة في هذا الشأن؛ من هنا قد نفهم الحالة النفسية للوائلي في قصيدة (في محراب العشق) وهو يخاطب الإمام علي (عليه السلام) طالباً منه العذر على تلعثم صوته، وقصور شعره عن التعبير في مدحه: (الوائلي ،2016 ، ص 71)

لا تلمنـــي إن خانـــــــــــــــني التعبيـــــــــــرُ فمتـــــى يحتـــوي الكبيـــرَ الصـــغيرُ

أنـــت مـــلءُ الـــدهور حجمـــاً ومعنـــى وأنـــا بعـــضُ مـــا حوتـــهُ الـــدهورُ

بيـــد أنّـــي ألقـــاكَ فـــي أفـــق العشـــ ـــق كمـــا يلتقـــي الفـــراشَ النـــورُ

ولكـــــل منـــــا هنالـــــك دورٌ أنـــت تهمـــي الســـنا ونحـــن نـــدورُ

إن تكـــن تأســـر المشـــاعر قهـــرا مـــا هـــو العـــدل أن يـــلام الأســـيرُ

فمتـــى يؤخـــذ الأســـير اختيـــاراً ومتـــى اختـــار قـــاهرا مقهـــورُ

ركضـــت خلفـــك القلـــوب وســـرنا خلفهـــا وانتهـــى اليـــك المســـيرُ

فنراه في أول القصيدة يلتمس مرثيه علياً (عليه السلام) العذرَ إن هو أخطأ في التعبير عمَّا يضمره من احترامٍ وإجلال، وهو يقرُّ بأنه صغيرٌ الحجم أمامه، إنها ذات خاضعة متذللة إلى حدٍّ يليق بالمخاطب والوائلي هنا يحسن تعليل هذا التذلل والخضوع؛ فأين بعض الدهر من الدهر ملؤه؟ وهو هنا يريد القول: إنَّ فضل علي عليه السلام هو الشاهد له بعلو المنزلة لما تركه في التاريخ من إرث إنساني كبير جعله كالنور الذي يحوم المحب حوله كالفراش، وهو آسرٌ للمشاعر بفضله فلا يلومنَّ أسراه بعشقهم ومسيرهم إليه.

المبحث الثالث: الجمال

المُراد بالجمال في هذا الموضع من البحث الجمال الفنّي على نحوٍ خاص والذي هو في نظر أرسطو محكومٌ في الأسلوب والكيفية التي تتم من خلالها عملية انتقاء الألفاظ، والتلاعب بمواقعها ومجاوزتها للحقيقة؛ فتكون بذلك لغة الشعر لغة مجازية تختلف عن اللغة الاعتيادية، لأنها تكون بذلك ذات مظهرٍ غريب؛ يؤدي إلى العجب الذي يُحدث بدوره اللذة (أرسطو ، 1979م، ص 186) وقديماً عزا أفلاطون جمال الشعر وسطوته إلى الإيقاع (العوادي، 1985، ص 16) الذي يمنح الشعر موسيقى تنبو لها الأذان وتطرب، ومن المعلوم أنَّ التصوير واحد من أقدم الخصائص

الشعرية التي أشار إليها الفلاسفة الإغريق والعلماء العرب، وبذا يكون الوقوف على هذه العناصر الثلاثة (اللفظ، والإيقاع، والصورة) وقوفاً يفي بغرض الكشف عن جمال اللغة الشعرية عند الوائلي.

1- جمال الألفاظ:

تشكل مجموعة الألفاظ التي ينتقيها الشاعر ما يُعرف بالمعجم الشعري الذي يمثل حصيلةَ التكوين الثَّقافي للشاعر، وقدرته الخاصَّة على انتقاء المفردات التي تعبِّر عن مشاعره المكنونة في نفسه (الأتروشي، 2014م، ص 67) فتمتزج هذه الألفاظ - بعد أن تستحيل تراكيباً - مع الإيقاع فتنتجُ بطريقة ما شعراً، والحق إنَّ الوائلي يُحسن انتقاء الألفاظ التي تبدو في شعره مرسومة للقارئ ومن ذلك قوله في وصف السيدة رقية بنت الإمام الحسين (عليه السلام) في بلاد الشام: (الوائلي ،2016 ، ص 172)

وبـــدرب العيـــون صـــرحٌ تســـامى الـــ ... فـــــنَّ فيـــــهِ وأبـــــدعَ التصـــــويرُ

روضـــــة تأشـــــبُ النضـــــارةُ فيهـــــا ... ويُجلِّـــــل أبهاءهـــــا التنـــــويرُ

إن أطلّـــت شـــمسُ الصـــباح عليهـــا ... يتبـــارى بهـــا السَّـــنا والعبيـــرُ

وصـــــخورٌ تماوجـــــت بالمرايـــــا ... فكـــــان الشـــــعاع فيهـــــا غـــــديرُ

ويخـــطّ البلّـــور والـــذهب الإبـــ ... ـــريزُ مـــا عنـــهُ يعجـــزُ التصـــويرُ

حفلـــت بالشـــموخ معنـــىً ومبنـــىً ... فالمزايـــا جنبـــاً إلـــى جنـــبٍ تســـيرُ

إنَّ سر جمال هذه الأبيات فضلاً عن قيمتها التصويرية والإيقاعية يعود على الأرجح إلى انتقاء الألفاظ منها الفعل (تأشب) الذي أراد به الاختلاط، وألفاظ (البلّور، والتنوير، والسنا، والعبير، والذهب، الشعاع، المرايا، الغدير، الشموخ) فضلاً ألفاظ الطبيعة (روضةٌ، النضارة، الشمس، الصباح، الصخور، تماوجت) إلى غيرها من الألفاظ التي أضفت على الأبيات جوّاً من الرومانسية والبهاء والنقاء.

والمعجم الشعري عند الوائلي مزيجٌ من الألفاظ الموروثة والحديثة فضلاً عن الألفاظ الدينية، فحين تقرأ له أبياتاً لقصيدة وسمها بـ (من وحي النكسة): (الوائلي ، 2016م، ص 368)

أمتـــي أرســـت الخطـــوبُ الســـودُ ... فاقرعيهـــا ولا يكـــن لـــكِ عـــودُ

وانتشـــي بـــاللظى فمـــا بـــرحَ الكـــأ ... سُ خليّـــاً مـــن اللظـــى يســـتزيدُ

أجّجيـــه كـــي لا يبـــوخ فـــإنَّ النـــارَ ... أن يتبـــعَ الوقـــودَ الوقـــودُ

وانشـــقي مـــن دخانـــه فـــدخانُ ... النـــارِ فـــي زحمـــة المعـــامعِ عـــودُ

إنّـــهُ الإثمِـــدُ المُحبّـــب لـــن تكـــ ... ـــحلَ مـــن مثلـــه العيـــونُ السُّـــودُ

إنّـــهُ والخطِّـــيُّ ينتهـــلُ الطعـــ ... ـــنَ خضـــيبٌ مـــن الـــدما تغـــريدُ

نرى أنَّ موقف الحرب (الخطوب) قد استدعى ألفاظها (اقرعيها، انتشي باللظى، أججيه، النار، الوقود، الدخان) و(الإثمِد) الذي أراد به الكحل الأسود الذي تكتحل به النساء (ابن منظور، 1992م، ص:3: 105)، و(الخطِّي) وهو الرمح الذي يحمله المقاتلون في المعارك(ابن منظور، 1992م، ص: 7: 290) ، إنَّها صورةٌ حربية رُسمت بألفاظ قديمة تحرّض على الجهاد بعنفٍ وحماسٍ شديد.

2- جمال الإيقاع:

الإيقاع عامل أساس في الشعر، على الرغم من كونه ليس شيئاً محدداً وملموساً يمكن للباحث الإمساك به كي يُقال مثلاً: هذا هو الإيقاع (خضر، 1998م، ص 48) كما هي الحال بالنسبة إلى القافية التي تشكل إلى جانب الوزن إرثاً شعرياً تقليدياً تناقلته الأجيال الشعرية على نحوٍ مستمر، قبل أن تظهر دعوات قصيدة النثر في النصف الثاني من القرن العشرين ليدعونا أصحابها إلى كتابة قصائد خالية من الوزن والقافية! والوائلي وعلى الرغم من نبوغه الشعري أثناء هذه المرحلة الشعرية التي اتسمت بالتجديد والحداثة لم يكن ممن تأثروا بهذه الدعوات الجريئة، وظل يكتب الشعر بشكله الموروث طيلة حياته الشعرية، على الرغم من أن القصيدة بشكلها الكلاسيكي تعود على صناعة موسيقيَّة صَعبة وُمعقَّدة حتى قبل أن يضع قوانينها الخليل (شوقي و ضيف، د. ت، ص 14) ، فلم تكن الأوزان عائقاً بالنسبة له مثلما كانت عائقاً بالنسبة لأكثر الشعراء المنسوبين للجيل الستيني على سبيل المثال (كريم، 2006م، ص 45) فقصائده تشهد له إتقان الوزن، والتحكم بالقوافي من دون عناءٍ وكد، وهو ما يظهر في قصيدته (خواطر في الليل) على سبيل الذكر لا الحصر: (الوائلي ،2016 ، ص 207)

دنيا الصحاة إليكِ الصحو فاستلمي إني سأرحل من حلمٍ إلى حلمِ

دفنتُ دنياي في ظلماء معتمةٍ فحاذري أن ترشّي النور في عتمي

فالنوم في ناعم الأحلام يرحمني والصَّحو يرهقني في واقعٍ فَدِمِ

حتى ترقبتُ ليل الحلمِ في شغفٍ وصرتُ ألقى نهارَ الصحو في برمِ

لقد أنالتني الظلماءُ ما بخلت شمسٌ به فشكرتُ الليلَ والظلمِ

الوائلي في هذه الأبيات ينشد العزلة فهو يرغب بالعتمةِ ويعزف عن النور! وهو يبحرُ في خيالٍ رومانسي على أنغام البحر البسيط يحاكي حب الطبيعة وصورها الزمانية التي تجلت بذكر عنصر الليل الذي بدا رحيماً ورؤوفاً، والنهار الذي بات الشاعر يتبرَّمُ بقدومه، إنَّه شعورٌ ينبي عن رغبة عارمة في اعتزال الذات الشاعرة للواقع والهروب إلى عالمٍ آخر ملؤه الهدوء والسكينة تكفيه منادمة النجوم.

ولم يمنع الإمساك بالقوافي والتحكم فيها الإتيان بها ساكنة في عدد من القصائد ومنها قصيدته في رثاء توفيق الفكيكي: (الوائلي ،2016 ، ص 457)

بكيتُك للتراث وللعروبهْ وللغة المهذبة الحبيبهْ

وللفكر النظيف فلا افتئاتٌ ولا كذبٌ ولا زورٌ وريبهْ

وللخلق الكريم وللسجايا مهذبة وللنفس الأديبهْ

إنَّ جمال الإيقاع في القصيدة العمودية عند الوائلي متأتٍ من إدراكه قيمة عناصره الرئيسة ومنها التصريع في أول القصيدة الذي كان سمةً حاضرة في معظم قصائده ومنه قوله في قصيدة (رسالة إلى صغاري): (الوائلي ،2016 ، ص 353)

لا تلمني إنَّ الملامَ تجنِّي وأعنِّي إذا استطعتَ أعنِّي

وكذلك قوله في قصيدة (محنة الدهر): (الوائلي ،2016 ، ص 393)

محنة الدهر أن يضيعَ الحسابُ وتعود الأخطاء وهي صوابُ

لكن ذلك لم يمنعه من التجديد في عدد من هذه القصائد ومنه اللجوء إلى التدوير الذي يسبغ على الأبيات ولليونة، ويمدُّ نغم البيت ويطيل من نغماته (الملائكة، د. ت، ص112) وهو ما يظهر في قوله وهو يصف جمال وطنه العراق: (الوائلي، 2016 ، ص 396)

يـــا أريجـــاً مـــن نينـــوى ضـــمّخ الدنـــ ـــيا وماســـت مـــن عطـــره الأحقـــابُ

يـــا هـــديراً مـــن جنـــد معتصـــم الفتـــ ـــح علـــى سُـــرّ مـــن رأى صـــخّابُ

أنـــت لحنـــي وقَعتـــهُ فـــوق مـــوج الـــ ـــبحرِ يرديـــه مـــدَّهُ والعبـــابُ

وبزهو النخيل بالكـــــــــــــــوخ والأفـــــــــــ ـــق أصـــيلٌ وشـــعلة والتهـــابُ

والرصـــافات خضـــرةٌ يضـــحكُ الـــور دُ بأرضـــها ويبكـــي الســـحابُ

حيث تتحد الأبيات ويبدو البيت الواحد سطراً شعرياً وتبدو الأبيات مجتمعةً أسطراً شعرية متوالية لا تكاد تختلف عن شعر التفعيلة لولا تنظيمها الكلاسيكي ووحدة القافية.

أما التضمين فهو صورة اخرى من صور التجديد الحذر في الشعر العمودي عرفه الشعر قديماً واستقبحه النقّاد الذين آمنوا بوحدة البيت الواحد (العسكري، 1984م، ص9-10) ، وهو عند الوائلي يضفي وحدة أكبر وليونة أطول للأبيات من خلال اللجوء إلى عدد من الأساليب الإنشائية ومنها الاستفهام: (الوائلي، 2016 ، ص 248)

وتســـــاءلتُ والشـــكوكُ تـــديرُ الـــرأسَ منـــي بـــالجزمِ والترديـــد:

أنـــا وحـــدي دربـــي هـــدىً ودروب النـــاس جمعـــاً إلـــى الضـــلالة تـــودي؟

أم هـــي اللاحـــدود عنـــد صـــحابي وهـــي عنـــدي نـــوازعٌ فـــي حـــدود؟!

أم قيـــودٌ صـــنعتها باختيـــاري ثـــم جـــارت علـــى يـــديَّ قيـــودي؟

لا، فمـــا اســـتبهمَ الظـــلامُ مـــن الصبـــ ـــحِ وللصـــبحِ رفّـــة فـــي عمـــودِ

يسهم أسلوب الاستفهام المشفوع بأم المعادلة في خلق حوارٍ داخلي يسمح به التضمين الذي يكسر الشاعر بفضله حاجز انعزال الأبيات عن بعضها، حيث يقتضي البيت السابق البيت اللاحق، ويفتقر البيت اللاحق البيت الذي يسبقه وهو ما اطلق عليه المرزباني (ت384هـ) تسمية تضمين الاقتضاء (المرزباني ، د.ت، ص 41)، فتتخذ فيه الأفكار اتجاهاً ينسكب نحو الأسفل بدءاً من البيت الأول والثاني اللذين ضمَّا أسلوب الاستفهام، ومروراً بالبيتين الثالث والرابع اللذين تزداد فيهما التساؤلات، وانتهاءً بالبيت الخامس الذي تحضر فيه الإجابة عن التساؤلات بالمجمل.

3- جمال الصورة:

إذا كان ثمة من وجد فرصة للخروج على الإيقاع بوصفه عائقاً مهارياً له صلة بطبيعة الخلق البشري الذي يفتقر بعضه إلى الأذن الموسيقية، فإنَّ فرصة التخلي عن الصورة الشعرية تبدو مستحيلة؛ فالشعر على حد قول الجاحظ (ت 255هـ) صناعة ونسج، وهو جنس من التصوير (الجاحظ،2002م، ص 3/ 67) ، والتصوير هو سر خلق اللغة المجازية؛ منه توجد التشبيهات، والاستعارات، والكنايات، والوائلي يبدو وفياً للصورة الشعرية الموروثة، فهو قلما يلجأ إلى الصور الرمزية أو القناعية؛ وهذا سببه طبيعة شخصيته الدينية التي تتعامل بحذر وقداسة مع الأنبياء، والرسل، فتنقلها بصورها الحقيقية، وهو أبعد ما يكون عن التعامل مع الخرافة والأسطورة التي يستدعيها الرمز، ولكنه يميل كل الميل إلى توظيف الاستعارة فيخلق منها صوراً تشخيصية وتجسيدية لافتة حين يحاور المحسوسات فيضفي عليها صفاتٍ إنسانية خالصة، ومن ذلك قوله محدثاً الليل: (الوائلي، 2016 ، ص 207)

يـــا أيهـــا الليـــل حســـبي أن تنـــادمني فيـــكَ النجـــوم وأســـمو فيـــكَ للسَّـــدمِ

فألتقـــي بلبانـــــــاتي علـــى أفـــقٍ مـــن الســـمو كـــريمٍ شـــاهق القمـــمِ

فأســـتريح إلـــى عـــيشٍ بـــلا غصـــص وأطمـــئنَّ إلـــى دنيـــا بـــلا غمـــمِ

فخطاب الليل وتشخيصه عبر النداء يفصح عن العلاقة الحميمة الناشئة ما بين الليل والشاعر الذي تكفيه منادمة النجوم عن غيرها حين يلتقي بلباناته في الليل ويستريح بعيش لا تكدر صفوه غصة، ودنيا لا غمَّ فيها، والشعراء يلجؤون إلى الشعر في بث همومهم، والتعبير عن رغباتهم وما تطمح إليه نفوسهم، وهو ما يتوافر لهم في الشعر دون غيره من فنون النثر فالشِّعر تُقبَل منه أشياءٌ لا تُقبل في النثر منها مديح الرجل نفسه، وذكر العشيقة وغير ذلك ممّا هو مُستهجن في غير الشعر. (العسكري، 1997م، ص 139)

ومن الصور التشخيصية قوله في قصيدة (آهة في رثاء رفيقة العمر): (الوائلي ،2016 ، ص 424)

مشـيتِ معـي فـي الـدرب والعـيشُ بِلغـةٌ ووجـــهُ الأمـــاني كـــالحٌ مـــتجهمُ

لـــك رغـــم الهجيـــر روضٌ خضـــيلُ الشـــذا الغمـــرُ والنســـيم البليـــلُ

والجنـــــان المفوقـــــات لـــــديها أكُـــــلٌ دائـــــمٌ وظـــــلٌ ظليـــــلُ

مُـــنعشٌ مـــن ربيعـــه يـــبسَ الـــ ـــدنيا وبالغيـث تستجيـــــرُ الرمـــولُ

حيث يبدو وجه الأماني كالحاً من شدة الحزن! وتبدو الرمال بهيأة إنسان يستغيثُ بالغيث!

وفي مدح الإمام علي (عليه السلام) تعانق القلوب معشوقها في صورة تجسيدية أخرى. (الوائلي ،2016 ، ص 83)

لا تلمهـــــا إن عانقتـــــك القلـــــوبُ فـــأخو العشـــق فـــي لجمـــال يـــذوبُ

على حين يحضر التشبيه من دون ذكر الأداة فيبدو أبلغ وأقوى في مدحه الإمام الحسن (عليه السلام) حين يشبهه بجده النبي: (الوائلي ،2016 ، ص 94)

وشـدت لـه الزهـــــــراء تمـلأ مهـدهُ ورعتـــه بـــالزاد الكريـــــــم عنايـــةَ

نغماً غداةَ تهـــــــــــــــــزهُ وتهـــــــــــــدهُ لله تغـــــــــــــدق بالكريـــــــــــــم وترفدُ

عينـــــاه تســـــتجلي ملامـــــح أحمـــــدٍ وبســـــمعه الـــــوحي المبـــــين يـــــرددُ

وفي مدح زينب عليها السلام يعمد الشاعر إلى التكنية عن ذكر أهل البيت: (الوائلي ،2016 ، ص 154)

يـــا بنـــة الطـــاهرين عـــذرا إذا مـــا قعـــدت بـــي عقيرتـــي والقصـــيدُ

قد يزكّي الإخـــــلاصُ والحـــــــــب زاداً ولو أنَّ الـــــــــزَّاد المُـــــــــعدَّ زهيدُ

أنـــــا مـــــولاكم أعـــــبٌّ بنعمـــــا كـــــمُ وتزهـــــو بمنكبـــــي البـــــرودُ

فالكناية عن ذكر أهل البيت ناجمة عن التعظيم والإجلال لمقامهم المبارك وهي أبلغ من التصريح في القول كما هو معلوم.

الخاتمة

في ختام هذا البحث تتضح أهمية القيم الإنسانية في شعر الوائلي الذي كان التضامن مع هموم الناس وحب آل البيت سمةً طاغية على شعره وقد تجلى ذلك من خلال الجمال القيمة الإنسانية التي كانت الوعاء الحامل لهذه القيم على نحوٍ إبداعي له تأثيره الخاص في المتلقي الذي لا يمكنه سوى أن يلحظ جلياً شيوع القيم الإنسانية التي لم تختلف كثيراً عن القيم التي ضمتها الخطب الوعظية بالنسبة للوائلي، وقد بدا الوائلي وفياً لنزعته الدينية الداعية إلى ترسيخ القيم الخلقية والمبادئ السامية التي أخذت تغيب عن المشهد الشعري في الوقت الحالي بسبب الإغراق في الانطواء على الذات من قبل الشعراء وطبيعة الوعاء الإبداعي الذي بات يتخذ أشكالاً مختلفة، ويعالج مشكلات ضيقة لا تمت إلى المجتمع بصلة وطيدة ، ومرد هذا يعود على الأكثر إلى تأثير الحداثة والبيئة النقدية التي باتت تتجه نحو النص والمتلقي وتهمل المبدع وأفكاره، والباحث هنا يتساءل مرة أخرى عن قيمة الفن وجدواه إن لم يكن هذا النص من المجتمع وإليه، يعبر عن همومه، ويعالج قضاياه؟ إنها دعوة صادقة إلى المبدعين بضرورة العودة إلى القيم النبيلة؛ بغيةَ ترسيخها في المجتمعات العربية التي لم تزل بحاجة إلى الغذاء الإنساني في زمنٍ أخذت فيه أساليب التطور والتكنولوجيا منه مأخذاً كبيراً؛ فلا مجال للتراخي والتهاون في الفن الذي كانت وستظل لَه قيمة كبيرة لدى الإنسان الذي يريد له أن يكون صادقاً وذا جدوى.

المصادر والمراجع:

- اتجاهات الشِّعر العربي المعاصر: د. إحسان عباس، عالم المعرفة- سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، د. ط، 1978م.
- الأسلوب واللغة في قصائد فوزي الأتروشي (دراسة تحليلية) ، د. جمال خضير الجنابي، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠١٤م.
- التكرار الإيقاعي في اللغة العربية، الدكتور سيد خضر، الناشر: دار الهدى للكتاب، بيلا- كفر الشيخ، ط1، 1998م.
- تهافت الستينيين (أهواء المثقف ومخاطر الفعل السياسي) ، فوزي كريم، دار المدى للثقافة والنشر، بغداد، ط1، 2006م.
- الجواهري شاعر من القرن العشرين جليل العطية.
- الخطابة، أرسطو، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت ـ لبنان، 1979م.
- ديوان الوائلي، إعداد عبد الله الجعفري، شرح الأستاذ سمير شيخ الأرض، مؤسسة البلاغ، ط3، بيروت، 2016م.
- طوق الحمامة في الألفة والألاف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت 456هـ) ، تحقيق: د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت / لبنان، ط2، 1987م.
- الفن ومذاهبه في الشِّعر العربي، أحمد شوقي عبد السلام ضيف، دار المعارف بمصر، ، ط12، د. ت.
- قضايا الشِّعر المعاصر: نازك صادق الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، د. ت.
- كتاب الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الجاحظ (ت255هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002م.
- كتاب الصناعتين (الكتابة والشِّعر) ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت395هـ) ، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د. ط، 1997م.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت 711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

- لغة الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية، د. عدنان حسين العوادي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام سلسلة، دراسات، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985م.
- لغة الشعر بين جيلين، د. إبراهيم السامرائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1980م.
- ما بعد الحداثة في الرواية العربية إحسان التميمي، د. إحسان محمد التميمي، دار قناديل للنشر والتوزيع، ط1، بغداد، 2018م.
- المصون في الأدب، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري (ت 382هـ)، المحقق عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1984م.
- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية الجزء الثاني، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات/ حامد عبد القادر / محمد النجار، دار الدعوة، د.ط، د.ت.
- الموشح في مآخذ العلماء على الشُّعراء في عدة أنواع من صناعة الشِّعر، للمرزباني أبي عبد الله محمد بن عمر المرزباني (ت 384هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.